

(٩)

## القول الشامل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله: قال شيخ الإسلام غفر الله له: ((ثُمَّ الْقَوْلُ الشَّامِلُ فِي جَمِيعِ هَذَا الْبَابِ أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ بِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ لَا يُتَجَاوَزُ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ. قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: " لَا يُوصَفُ اللَّهُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ بِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ لَا يُتَجَاوَزُ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ".

وَمَذَهَبُ السَّلَفِ أَنَّهُمْ يَصِفُونَ اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ، وَنَعْلَمُ أَنَّ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ فَهَوَّ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ لُغْزٌ وَلَا أَحَاجِي بَلْ مَعْنَاهُ يُعْرَفُ مِنْ حَيْثُ يُعْرَفُ مَقْصُودُ الْمُتَكَلِّمِ بِكَلَامِهِ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الْمُتَكَلِّمُ أَعْلَمَ الْخَلْقِ بِمَا يَقُولُ، وَأَفْصَحَ الْخَلْقِ فِي بَيَانِ الْعِلْمِ، وَأَنْصَحَ الْخَلْقِ فِي الْبَيَانِ وَالتَّعْرِيفِ وَالدَّلَالَةِ وَالْإِرْشَادِ.))

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ:

بعد أن قدّم الشيخ رحمه الله تعالى بما سبق بيانه من ظهور مقالة التعطيل واستمدادها، وبيان مفارقتها لمقالة السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وظهور مقالة السلف ظهوراً جلياً بما صنّفوه من المصنّفات وجمعوا فيه من الآثار والروايات، شرع رحمه الله في تقرير هذه المسألة العظيمة المتعلقة بما ينبغي لله تعالى وما يمتنع عنه، فقال رحمه الله: ((ثُمَّ الْقَوْلُ الشَّامِلُ فِي جَمِيعِ هَذَا الْبَابِ)) الباب هو "باب العلم بالله بأسمائه وصفاته" (أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ بِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ لَا يُتَجَاوَزُ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ).

هكذا عيّن الشيخ . رحمه الله . المصدر الذي يوصف به الله عز وجل، وذلك أنه عقلاً لا يمكن لكائن من كان أن يصف شيئاً من الأشياء إلا بإحدى ثلاث طرق:

١- إما برويته.

٢- أو بروية مثله.

٣- أو بخبر الصادق عنه.

لا يمكنك أن تصف شيئاً من الأشياء أو عيناً من الأعيان إلا بأن تراها بعينيك أو ترى نظيراً لها أو يخبرك عدلٌ ضابطٌ عنها. فإذا أردنا أن نطبق هذا فيما يتعلق بصفات الله . عز وجل .، فالباب الأول ممتنع، ذلك أن الله . سبحانه وتعالى . لم يره أحد من البشر، حتى نبينا صلى الله عليه وسلم لم يره، فإنه سئل رأيت ربك فقال: ((نورٌ أتى أراه)) وقال في رواية أخرى: ((رأيت نوراً))، وقالت عائشة رضي الله عنها لما سألتها مسروق ((هل رأى محمد ربه)): ((لقد قلت قولاً ففّ له شعر رأسي من حدثك أن محمداً قد رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية))، إذن هذا الباب موصد.

أما الباب الثاني فأشده امتناعاً؛ لأن الله ليس كمثله شيء.

بقي الباب الثالث وهو الخبر الصادق: فهذا هو الباب المشرع الوحيد الذي يمكن أن نعرف به صفات ربنا، لذلك قال الشيخ: ((يُوصَفَ اللَّهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ بِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ)) والسابقون وصفوا لله بما وصفه به نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا ورد شيء عن الصحابة في صفة الرحمن، فلا يمكن أن يكون ذلك مما قالوه من تلقاء أنفسهم، كما قال ابن عباس رضي الله عنه في الكرسي ((إنه موضع قدميه)) فمثل هذا لا يمكن أن يكون تلقاه إلا من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لهذا له حكم المرفوع، ولهذا قال: ((لَا يُتَجَاوَزُ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثُ))، فهما المصدران الوحيدان اللذان يمكن أن نعرف بهما ربنا سبحانه وتعالى، كما قال الإمام أحمد: ((لَا يُوصَفُ اللَّهُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ بِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ لَا يُتَجَاوَزُ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثُ))، وكان رحمه الله يقول في مجلس المعتصم: ((يا أمير المؤمنين اتنوني بشيء من كتاب الله أو سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقول به)) فينقطعون ولا يجيرون جواباً. لذلك كان مذهب السلف؛ أن يصفوا الله بما وصف به نفسه أو ما وصفه به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم أن الشيخ احتز رحمة الله من أربعة أمور: ((مَنْ غَيَّرَ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمَنْ غَيَّرَ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ)) هذه أربعة محترزات يتيقها السلف. فالأولان: احترازات في باب النفي. والآخران: في باب الإثبات، ذلك أن في باب النفي على المنزلة لله سبحانه وتعالى أن يسلم من التحريف والتعطيل، وفي باب الإثبات على الواصف أن يحذر من الوقوع في التكييف والتمثيل؛ لأن طريقة السلف إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل، وطريقة أهل التعطيل المبالغة في التنزيه حتى وقعوا في التعطيل، وطريقة أهل التمثيل أو التشبيه المبالغة في الإثبات حتى وقعوا في التمثيل، فلا بد من معرفة هذه المصطلحات المهمة لِتُنْتَفَى.

أما التحريف فمعناه في اللغة التغيير: { يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ } (النساء: ٤٦، المائدة: ١٣)، أي يغيرون. وهذا التحريف ينقسم إلى:

١- التحريف اللفظي: رسم الألفاظ، يمكن أن يكون له ثلاث صور: بزيادة حرف أو كلمة أو تغيير الشكل. ومثاله بزيادة حرف: كمن حرف استوى إلى استولى، وبزيادة كلمة: من حرف وجاء ريك إلى جاء أمر ريك، ومثاله بتغيير الشكل: كمن قرأ قوله تعالى { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } (النساء: ١٦٤) قرأها "وكلم الله موسى تكليماً"، فجعل الله مكلماً لا متكلماً، يعني منصوباً على المفعولية، وهو في الواقع مرفوع لكونه فاعل، ف (كلم) فعل ماضي و(الله) فاعل مرفوع بالضممة لفظ الجلالة و(موسى) مفعول به وتكليماً مصدر مؤكد لعامله، هكذا هي، وهكذا قرئت لم تقرأ بغير هذا. ولما جاء بعض هؤلاء لأبي عمرو بن العلاء فطلبوا منه أن يقرأها لهم على النصب "وكلم الله موسى تكليماً" ليطيروا بها في الآفاق ويقول في قراءة: كذا وكذا، فقال لهم ((أما تسمع يا ابن اللحناء في قوله تعالى: { وَكَلَّمَ جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ } (الأعراف: ١٤٣) فالملكلم حينها الله عز وجل قطعاً. فهذا هو التحريف اللفظي.

٢- التحريف المعنوي: وهو الأعم والأكثر فهو أن يأتي هؤلاء المعطلة إلى ألفاظ النصوص فيشتونها بلا زيادة ولا نقصان لكن يقولون ((ليس المراد بها ظاهرها، المراد بها معنى يخالف الظاهر)). فيقولون المراد ب "استوى" ليس "علا" كما هو في لغة العرب وإنما استولى، ليس المراد بالوجه الحقيقي اللائق بجلاله، وإنما الثواب أو الذات، ليس المراد ب "اليد" اليد الحقيقية اللائقة بجلاله وعظمته، وإنما المراد بها النعمة أو القدرة وهكذا هذا يسمى تحريف معنوي.

قال: ((ولا تعطيل)): التعطيل في اللغة من العُطْل وهو الخلو والفراغ قال تعالى: {وَبَشِّرِ مُعْطَلَةَ} (الحج: ٤٥) يعني خالية من الماء، وتقول العرب "امرأة معطال" إذا استغنت عن الحلي بجمالها، وأنشد الشاعر بيتا يقول فيه<sup>١</sup>:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى      فالسَّيْلُ حَرْبٌ للمكانِ العالِي

يخاطب محبوبته أو غيرها لا تنكري عطل الكريم من الغنى يعني خلو يد الرجل الكريم من المال، لأن السيل ينزل على الجبال ويسح يمينا وشمالا، ونحن نقول أيضا: "عطلة صيفية" لخلوها من الدراسة، ونقول: "رجل عاطل" أي لا يعمل، فهو يدور حول معاني الخلو والفراغ. هذا معناه في اللغة.

وأما معناه في الاصطلاح فهو: جحد أو نفي أو إنكار أسماء الله تعالى وصفاته كلها أو بعضها.

بمعنى أن التعطيل ينقسم إلى: تعطيل كلي وتعطيل جزئي، فالمعطلة الذين نفوا أسماء الله وصفاته إما أن يكونوا وقعوا في التعطيل الكلي أو التعطيل الجزئي، وكلهم ينسحب عليه وصف التعطيل. وقد ذكرنا لكم في مناسبات سابقة أن المعطلة درجات وأن أشدهم تعطيلاً "القرامطة" الذين يقولون بنفي النقيضين فهؤلاء القرامطة فرقة ملاحدة وهم رافضة أيضاً، يقولون بنفي النقيضين، يعني كيف؟ يقول: لا يقال عالم ولا ليس بعالم، لا يقال حي ولا ليس بحي. فينفون أن يكون حياً وأن يكون ميتاً... وهكذا. ومن المعلوم ببداية العقول أن النقيضين لا يرتفعان ولا يجتمعان، فإذا كان هذا متحرك فليس بساكن وإذا كان ساكناً فليس بمتحرك، فلا يمكن أن كلا الوصفين يرتفعان بأن يقال لا متحرك ولا ساكن. فهؤلاء القرامطة قالوا بنفي النقيضين، فهم أشد المعطلة تعطيلاً. وعلتهم قالوا: "إن قلنا بالإثبات شبهناه بالموجودات، ولو قلنا بالنفي شبهناه بالمعدومات، فنحن نفي النفي والإثبات" عجباً لكم فقد وقعتم في شر مما فرتم منه لأنكم هكذا شبهتموه بالممتنع!! والتشبيه بالممتنع أشد شناعة من التشبيه بالموجودات أو المعدومات.

يلي هؤلاء في درجة التعطيل الجهمية المنسوبون لجهنم بن صفوان السمرقندي، فهؤلاء نفوا الأسماء والصفات وقالوا: إن الله تعالى هو الوجود مطلق بشرط الإطلاق فلا يسمى بأسماء ولا يوصف بصفات، والأسماء التي يتداولها الناس هم الذين اصطنعوها لله، وليست مما تسمى به الله، ولهذا لما نقد الدارمي على المريسي فقال أول ما قال في كتابه نقض هذه الشبهة وهي أن أسماء الله من صنع الناس وليست أزلية، فنقضها نقضاً عظيماً من عدة أوجه.

يلي الجهمية المعتزلة الذي أرادوا تخفيف شناعة قول الجهمية فأثبتوا الأسماء دون ما دلت عليه من الصفات، فقالوا سميع بلا سمع وبصير بلا بصير.. هكذا. فالأسماء مجرد عناوين ولا تدل على صفات، والأسماء أعلام وليست أوصافاً، بخلاف أهل السنة الذين يعتقدون أن أسماء الله تدل على صفاته فالسميع يسمع {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (المجادلة ١) رأيتم؟ (سمع، يسمع، سميع) في آية واحدة. فأهل السنة والجماعة يعتقدون أن أسماء الله أعلام وأوصاف، أما المعتزلة فيقولون أنها أعلام محضة ولا فرق بين الاسم والاسم الآخر، وأهل السنة يقولون هي أعلام وأوصاف:

• متغايرة بمعنى استقلال كل منها بمعنى مستقل.

<sup>١</sup> الأبيات لأبي تمام .

• ومترادفة من حيث دلالتها على الذات.

فهذه التسعة والتسعين التي يمكن استبطاها كلها تدل على ذات الله، فهو السميع البصير العليم الخبير... هو الله، كما قال في آخر سورة الحشر: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)} (الحشر: ٢٢-٢٤) فهي ترجع لذات واحدة لكن كل اسم منها يدل على وصف مستقل، لا يدل عليه الآخر، وهذا فرق بين من يثبت الأسماء أعلامًا وأوصافًا وبين من يثبتها أعلامًا فقط.

من يلي هؤلاء المعتزلة؟ يليهم المفوضة وهم أهل التجهيل، لأنهم سدّوا باب العلم بالله فقالوا: ما وصف الله به نفسه نثبت ألفاظها لكن لا نعقل لها معنى. وكان هذا المذهب مذهب قديم عند الفلاسفة يسمى مذهب اللاأدرية، من قولك: "لا أدري"، فسدّوا باب العلم بالله وهو تعطيل.

من بعد هؤلاء أصحاب التعطيل الجزئي: فجميع ما سبق أصحاب تعطيل كلي، أما من يعطلون تعطيلًا جزئيًا فهم الصفاتية، وهؤلاء الأصل عندهم الإثبات لكنهم شكوا في بعض الصفات فلم يثبتوها، وتحديدًا الصفات الفعلية: كالحيء والنزول، والخبرية: كالوجه والعينين، فهؤلاء وافقوا أهل السنة في إثبات الصفات المعنوية: كالعلم والقدرة والكلام لكنهم حرفوا أو نفوا دلالة الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعينين، والفعلية كالنزول والاستواء كما قلنا، فهذا تعطيل جزئي والأصل فيهم الإثبات. فهذه درجات المعطلة.

وبهذا يتبين أن أهل السنة يدرؤون في باب التنزيه التحريف والتعطيل والتكليف والتمثيل. فإن قال قائل: ما الفرق بين التحريف والتعطيل؟ وأيها أعم؟ هل كل مُعَطَّلٌ مُحَرَّفٌ أم العكس؟ نقول: الفرق بينهما أن التحريف أعم؛ لأنه تعطيل وزيادة، فكل مُحَرَّفٌ مُعَطَّلٌ وليس كل مُعَطَّلٌ مُحَرَّفٌ، ماذا صنع المحرّف؟ عطل أولاً ثم حرّف ثانياً، فمثلاً قوله: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} (طه: ٥) نفى أن يكون استوى بمعنى "علا"، ثم زاد التعطيل بأن قال استوى بمعنى استولى فحرّف ثانية، فجمع التعطيل والتحريف، فكل مُحَرَّفٌ مُعَطَّلٌ والعكس غير صحيح. أما المعطّل فنفي المعنى الذي دلت عليه اللغة لكنه لم يزد على ذلك بمعنى من عند نفسه، من هؤلاء؟ أهل التعطيل دون التحريف هم أهل التجهيل لأنهم نفوا ما دل عليه اللفظ الموضوع في اللغة على معنى معين، ولم يصنعوا كما صنع فرقاؤهم وقصمائهم من أهل التحريف بأن يأتوا بمعنى بديل، فقد نبطل المعنى ولا نعلم {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} (آل عمران: ٧). وأبقوا النصوص كالأحاجي والألغاز. فهذا هو الفرق بين التحريف والتعطيل فكل مُحَرَّفٌ مُعَطَّلٌ وليس كل مُعَطَّلٌ مُحَرَّفٌ.

فينبغي أن ننتبه إلى أن السلف رحمهم الله يطلقون التعطيل أحياناً على الأشاعرة وكذلك التجهم؛ لأن فيهم لوثة تعطيل ولوثة تجهم، وإن لم يكونوا جهمية محضة ولا تجهيلاً كلياً.

أما مقابلهما فيتعلق بجانب الإثبات قال: ((وَمِنْ غَيْرِ تَكْوِينٍ وَلَا تَمْثِيلٍ)). التكييف: حكاية كيفية الصفة فتقول الصفة ككذا وكذا، يطنب في الوصف، والتمثيل: إثبات مماثل للشيء فتقول هذا مثل هذا كأن تقول هذا الكتاب مثل هذا الكتاب كأنه خرج

من مطبوعة واحدة، أو أصف مشهدا في الشارع أقول هذا فعل كذا وكذا فأحكي كيفية، هذا من حيث الدلالة اللغوية، لكن من حيث تعلقه بصفات الرب، **فالتكليف**: هو أن يجزؤ أحد على أن يقول كيفية استواء الله على عرشه كذا وكذا وكيفية نزوله للسماء كذا وكذا، أما **التمثيل** كأن يقول عيادًا بالله يد الله كيد المخلوق ووجه الله كوجه المخلوق. وكلاً منهما ممتنع عقلاً محرم شرعاً، ممتنع عقلاً لأنه يستحيل أن يحيط كائن بالله وأن يحكي كيفية صفاته أو يمثلها بمطابق. فالله خالق وكامل من جميع الوجوه، ومحرم شرعاً لدلالة النصوص المتكاثرة على نفي ذلك كقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الشورى: ١١)، وقوله تعالى: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَيًّا} (مریم: ٦٥) وقوله تعالى: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} (الإخلاص: ٤).

**لكن لو قال قائل: ما الفرق الدقيق بين التكليف والتمثيل؟ وأيهما أعم وأيهما أخص؟ فنقول: إن التكليف هو حكاية الكيفية مطلقة أو مقيدة، مقيدة: فلو سأل سائل أعرياً لم ير الطائرة فسأل أحد المدنيين "ما الطائرة؟ وكيف تطلع وتنزل؟" فيجيبه أحد: تعرف الطير الفلاني؟ كيف يطير؟ أليس يجري على وجه الأرض ثم ييسط جناحيه ثم يرتفع؟ هكذا تفعل الطائرة تجري على المدرج ثم تصعد، وإذا أرادت النزول تنزل كنزول الطائر الفلاني شيئاً فشيئاً. الآن هو يحكي له كيفية مطلقة أم مقيدة؟ مقيدة بشيء وهو ذلك الطائر الذي يعهده السائل. أما المطلق فيحكي له الكيفية بدون مثال. فالتكليف مطلق أو مقيد، أما التمثيل فلا بد أن يكون مقيداً بشيء بأن يقول: "هذا مثل هذا" هكذا يكون التمثيل، ولهذا يكون التكليف أعم من هذه الجهة؛ لأنه قد يكون مقيداً أو مطلقاً.**

أما من جهة أخرى فإن التكليف يختص بالصفات، وأما التمثيل يتناول القدر والصفة بالذات، وبهذا الاعتبار يكون التمثيل أعم من التكليف. فمثلاً حينما أقول: "كتاب علي مثل كتاب صالح"، معنى ذلك أنهما متماثلان في كل شيء في القدر والصفة والذات من جميع الوجوه، لكن التكليف لا يلزم، فممكناً مثلاً تكليف كيفية شيء بشيء لا جامع بينهما إلا الصفات كالسرعة أو البطء أو الخفة أو الحرارة أو الرطوبة أو غيره، فيكون بهذا الاعتبار التمثيل أعم.

على كل حال هذا تدقيق لفظي.

المقصود أن أهل السنة والجماعة في وصفهم لله بما وصف به نفسه وما وصفه به نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحدرون من هذه المزالق الأربعة:

• في الإثبات: التكليف والتمثيل.

• في النفي والتنزيه: التعطيل والتحريف.

ليس هذا فقط بل يعتقدون أيضاً بأن كل ما أخبر الله تعالى به عن نفسه أو أخبر به عنه نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو حق على حقيقته وليس أحاجي ولا ألغاز، لم يُلغِزِ اللهُ ولم يُلبَسْ نبيُّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته، ذلك أن الله أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً، ونبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلم بربه من كل أحد وأحسن حديثاً وأفصح الناس وأنصحهم. ولهذا كان كلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البيان والوضوح ما لا يحتاج لتفسير مفسر ولا بيان أحد، فكما قال السلف: "قراءته تفسيره" يعني اللفظ الدال عليه الموضوع في اللغة هو تفسيره، لا يحتاج أن يأتي أحد ويقول معنى مجازي ويقول بل معناه كذا. أطلنا الكلام هنا لأنه أصول مهمة في تععيد مذهب السلف.